

كليات القرآن المكي وأثرها في البناء العقدي للفرد المسلم.

الدكتور باي بن زيد

جامعة تلمسان.

### ملخص البحث :

يشكل موضوع هذا المقال محاولة لإظهار مفهوم كليات القرآن المكي وأنواعها مع إبراز أهميتها وذلك ببيان أثرها في بناء عقيدة الفرد المسلم خلال المرحلة المكية للدعوة المحمدية، وفق مراحل بنائية رئيسة تتمثل في إبطال العقائد الفاسدة والأفكار الموهومة الموروثة، ثم تأسيس الأصول العامة للعقيدة الإسلامية وكذا كليات التشريع والأخلاق. كلمات مفتاحية: كليات - القرآن المكي - البناء - العقيدة.

### Resumé.

Le sujet de cet article est une tentative de montrer la définition des origines de alquran almukiu et de ses types, tout en soulignant son importance dans la construction de la foi du musulman pendant la phase de Makkah.

Cette construction a été faite en révoquant les croyances corrompues et les idées fausses héritées, puis en établissant les atouts généraux de la foi islamique ainsi que les origines de la législation et de l'éthique.

### Mots clés.

Kalyat - alquran almukiu - Construction – aleaqaida.

كليات القرآن المكي وأثرها في البناء العقدي للفرد المسلم.

الدكتور باي بن زيد

جامعة تلمسان.

تمهيد:

عنى القرآن الكريم طيلة الدعوة المحمدية قبل الهجرة المباركة بالفرد الإنساني بينيه لبنة لبنة، ويكونه مرحلة بعد مرحلة لتتأهل هذه الأفراد لحمل أمانة الرسالة، وتكوين مجتمع متكامل فاضل.

ومن استقرأ أي القرآن المكي، ونظر إليها بعين التدبر والتأمل، ووقف على مقاصدها وأهدافها العظيمة يتحرر عنده جملة من القواعد والكليات القرآنية العامة التي بنّت الفرد في فكره وعقله، وبنّت نفسه وروحه، أحكمت تصرفاته وضبطت سلوكاته بإحكام بديع.

يقول الشاطبي رحمه الله: "اعلم أن القواعد الكلية هي الموضوعة أولاً، والتي نزل بها القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة كملت بها تلك القواعد التي وضع أصلها في مكة، وكان أولها الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، ثم تبعه ما هو من الأصول العامة كالصلاة وإنفاق المال وغير ذلك... وإنما كانت الجزئيات المشروعة بمكة قليلة، والأصول الكلية كانت في النزول والتشريع أكثر"<sup>1</sup>.

فما هي هذه القواعد والكليات؟ وما أثرها في بناء عقيدة الفرد المسلم؟.

<sup>1</sup>: الموافقات في أصول الشريعة - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي - السعودية - دار ابن عفان - ط.1 -

1418هـ - 1998م - ج:3 - ص:336.

المبحث الأول: كليات القرآن المكي ( مفهومها- أهميتها - أنواعها).

المطلب الأول: مفهوم كليات القرآن المكي.

هي مركب إضافي لتعريفه يتوجب تعريف جزأيه: (كليات) و(القرآن المكي).

أ / تعريف الكليات لغة واصطلاحاً.

1: تعريف الكلية لغة: الكلية لغة مأخوذة من لفظ الكل، وقد ذكر اللغويون تعريفات متقاربة للكل في معناها ولعل أشملها وأوضحها ما ورد في لسان العرب: " ( كل ) الكلُّ اسم يجمع الأجزاء، يقال كلُّهم منطلق، وكلهن منطلقة، ومنطلق الذكر والأنثى في ذلك سواء؛ وحكى سيبويه كُتِّهِنَّ منطلقةً وقال العالمُ كلُّ العالم، يريد بذلك التناهي، وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخصال وقولهم أخذت كلَّ المال، وضربت كلَّ القوم فليس الكلُّ هو ما أُضيف إليه؛ قال أبو بكر بن السيرافي: إنما الكلُّ عبارة عن أجزاء الشيء"<sup>2</sup>.

2: تعريف الكلية اصطلاحاً:

وضحها أبو البقاء الكفوي حين بين الفرق بين الكل والكلية بقوله: " الكل هو الحكم على المجموع كقولنا: ( كل بني تميم يحملون صخرة )، والكلية هي الحكم على كل فرد نحو: ( كل بني تميم يأكلون الرغيف )؛ والكل يُتَقَوَّم بالأجزاء كتقوم السكنجيين بالخل والعسل، بخلاف الكلي كالإنسان فإنه لا يتقوم بالجزئيات"<sup>3</sup>.

وعرفها الحسن حريفي بقوله: " هي حكم ينطبق انطباقاً كلياً على موضوع ما بكافة أفرادها دون أن يتخلف أي فرد منه"<sup>4</sup>.

---

<sup>2</sup> : لسان العرب - ابن منظور - مادة: كلل - بيروت - دار صادر - د.ط - د.ت - ج: 11- ص: 590-591.

<sup>3</sup> : الكليات - الكفوي أبو البقاء - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط.2- 1419هـ - 1998م - ص: 745.

<sup>4</sup> : الكليات الشرعية في القرآن الكريم - الحسن حريفي - دار ابن عفان - ط.1- 1423هـ - 2002م - ج: 1- ص: 16.

مما سبق يمكن القول أن الكلية حكم عام ينطبق على جميع أفراد موضوع ما دون استثناء.  
ب/ تعريف القرآن المكي:

القرآن المكي ما نزل قبل هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة عام الفتح أوفي حجة الوداع ، أو بسفر من الأسفار<sup>5</sup>. وهو الإصطلاح المشهور عند العلماء.  
ج/ مفهوم كليات القرآن المكي.

بعد تعريف كل من الكليات والقرآن المكي؛ يمكن القول أن كليات القرآن المكي: هي المبادئ العامة والأصول الجامعة للتنزيل المكي كالعقيدة والأخلاق، والأحكام الضرورية التي لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان، والتي شيد عليها البناء التشريعي بجزئياته وتفريعاته بالمدينة فيما بعد.

المطلب الثاني: أهمية كليات القرآن الكريم.

جاء القرآن الكريم خاتماً للرسالات السماوية السابقة، ومهيماً عليها؛ أنزل ليصلح الزمان والمكان، فحوى كليات وأصول عظيمة شاملة، غير قاصرة أو محدودة، ومحكمة غير متشابهة وثابتة غير زائلة ولا متبدلة، وقواعد لها خصائص وميزات مثل التي ذكرت أخرى أن تكون لوقائع الحياة أشمل، ولأحكام الشرع أضبط.

يقول الدكتور الحسن حريفي مبيناً قيمة وأهمية القواعد الشرعية عموماً: " للكليات الشرعية قيمة عظيمة، وأهمية بالغة في مجال التشريع، وضبط مضامين الشرع، واستيعاب وقائع الحياة بها؛ إذ لا سبيل إلى هذا الضبط والإستيعاب إلا عن طريقها؛ أما الجزئيات فلا تنتهي والضبط والاستيعاب حصر لا يكون بما لا يتناهى"<sup>6</sup>.

ويوضح هذه الأهمية كذلك الدكتور أحمد الريسوني بقوله: " جوامع القرآن وكلياته هي أحد وجوه إعجازه، وأحد أسباب قوته المتجددة عبر العصور؛ واستثمار هذه الكليات في شتى

---

<sup>5</sup> ينظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم- طاش كبرى زاده - بيروت- دار الكتب العلمية ط:1- 1405هـ- 1985م- ج:2- ص: 344.

<sup>6</sup>: الكليات الشرعية في القرآن الكريم - الحسن حريفي - ص: 23.

مناحي الحياة هو ما يجعل نور القرآن وهده ورحمته تنتسع وتتمدد حتى تتطابق مع قوله تعالى : ( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ) (سورة الأعراف: الآية: 156) وقوله سبحانه: ( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ) (سورة النحل - الآية: 89) "7.

وكليات القرآن كذلك من أفضل وأهم ما يعين من تصدر تفسير كتاب الله؛ كما أنها خير رافد للفقهاء يستمد منها في بيان أحكام ما لا نهاية له من القضايا والمستجدات والنوازل التي تطرأ على حياة الناس.

يقول الريسوني: " بل إن هذه الكليات تعطي بمجموعها أو بمجموعة منها كليات أكبر وأعم، هي المبادئ العليا والمقاصد الكبرى للتشريع الإسلامي، بل هي معالم الدين وركائزه وأساسه وأركانها، فهي بذلك تكون كليات حاكمة وكليات ناظمة؛ فوظيفتها لا تقتصر على مرجعيتها وحجيتها فيما لا نص فيه، بل هي الأصول والأمهات لكل ما يندرج تحتها من الفروع والجزئيات، سواء كان منصوصاً أو غير منصوص، ومن هنا يكون تحكيمها أيضاً في التفسير والتأويل، والتقييد والتخصيص، لما هو منصوص من الأحكام التفصيلية الجزئية"<sup>8</sup>.

المطلب الثالث: أنواع كليات القرآن المكي.

إن معرفة القواعد الكلية التي تحدث عنها القرآن المكي إنما تستفاد وتستخلص من مميزات خطابه، ولا ريب أنه يمكن تمييز ثلاث قواعد رئيسة وأصول كلية عنيت بالخطاب المكي وهي: أ/ الكليات العقدية، ب/ الكليات الخلقية، ج/كليات التشريع العامة.<sup>9</sup>

مفهوم الكليات العقدية: هي الأصول الاعتقادية الإيمانية الكبرى، وهي التي تمثل المرتكزات الأولية للدين، فهي أولية في الفطرة والعقل والدين ... ويأتي في مقدمة هذه المبادئ أو

7: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية - أحمد الريسوني - القاهرة - دار الكلمة للنشر والتوزيع - ط.1- 1434هـ - 2012م - ص:31.

8: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية - أحمد الريسوني - ص:45.

9: ينظر: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية - أحمد الريسوني - ص:45 وما بعدها.

الكليات العقدية : " الإقرار بالله تبارك وتعالى، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروي.<sup>10</sup>

المبحث الثاني: أثر كليات القرآن المكي في البناء العقدي للفرد المسلم.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة على فترة من الرسل؛ وأكثر أهل الأرض حينها يعيش في أحوال الشرك والوثنية والضلال إلا بقايا من أهل الكتاب.

أما العرب فكان أغلبهم على الوثنية بعد أن حملهم عليها عمرو بن لحي وغَيَّر ملة إبراهيم؛ وأما اليهود والنصارى فقد حرفوا الكلم من بعد مواضعه، فقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ وانتشال الناس من ظلمة الوهم والجهل إلى نور الحق واليقين يحتاج إلى منهج رباني قائم على محاجة العقل والقلب، منهج يبطل رواسب الجاهلية بالحجج والبراهين الدامغة، وينفض غبار الأوهام التي غطت الفطرة السليمة ليؤسس لها بناء حقا يرضاه الجليل، وتتشوف إليه العقول الراجحة والنفوس السوية .

فما هي معالم هذا المنهج الرباني؟ وما أثر ذلك في البناء العقدي للفرد؟

المطلب الأول : مفهوم البناء العقدي.

هو مركب وصفي لتعريفه يتوجب تعريف جزأيه : (البناء) و(العقدي).

أ/ التعريف اللغوي والاصطلاحي للبناء.

1: البناء لغة:

قال صاحب القاموس المحيط: "البَنَى : نَقِيضُ الْهَدْمِ بَنَاهُ يَبْنِيهِ بِنْيًا وَبِنَاءً وَبُنْيَانًا وَبِنْيَةً وَبِنَايَةً وَابْتَنَاهُ وَبَنَاهُ، وَالْبِنَاءُ : الْمَبْنِيُّ ... وَالْبُنْيَةُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: مَا بَنِيَتْهُ... وَبِنَاءُ الْكَلِمَةِ : لُزُومُ

<sup>10</sup>: ينظر: المرجع نفسه - ص: 75.

آخِرَهَا ضَرْباً وَاحِداً مِنْ سُكُونٍ أَوْ حَرَكَةٍ لَا لِعَامِلٍ... وَالْبِنْيَةُ كَعَيْنِيَّةٍ : الكَعْبَةُ لَشَرَفِهَا، وَبَنَى الرَّجُلُ: اضْطَنَعَهُ وَعَلَى أَهْلِهِ وَبِهَا : زَقَّهَا كَابْتَتَى الطَّعَامُ بَدَنَهُ : سَمَّنَهُ وَلَحَمَهُ...<sup>11</sup>.

2: البناء اصطلاحاً: يختلف اصطلاح البناء باختلاف الفن المعرّف له، وما يناسب بحثنا هو البناء المعنوي بمفهومه العام من بناء الاعتقاد والإدراك والتفكير.

وقد عرفه إبراهيم بن يوسف بن محمد المرزوقي قائلاً: "البناء هو تلك الأعضاء والأجهزة والمراكز الحسية والمعنوية التي زود بها الإنسان ليتمكن من خلالها رؤية وإدراك ما حوله من حقائق الكون التي بثها سبحانه في هذا الوجود والعالم الذي نعيش فيه ليهتدي إليه بفطرته السوية التي فطر الناس عليها، قال الله تعالى: ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ) (الروم - الآية: 30) "<sup>12</sup>.

ب / التعريف اللغوي والاصطلاحي للعقيدة.

1: العقيدة لغة: مشتقة من الجذر الثلاثي (ع - ق - د)، وتدور كلمة (عقد) في اللغة حول معان عدة منها<sup>13</sup>:

- \* التعصيب والشد، ومنه: عَقَدَ التَّاجَ فَوْقَ رَأْسِهِ وَاعْتَقَدَهُ عَصَبَهُ بِهِ .
- \* التوكيد والتغليظ، ومنه: عَقَدَ الْعَهْدَ وَالْيَمِينَ يَعْقِدُهُمَا عَقْدًا وَعَقَّدَهُمَا أَكْثَمًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ وَعَاقَدتْ أَيْمَانُكُمْ"، وقد قرئ عقدت بالتشديد معناه التوكيد والتغليظ.
- \* اللزوم، ومنه: عَاقَدتْ فُلَانٌ أَوْ عَقَدتْ عَلَيْهِ فَتَأْوِيلُهُ أَنَّكَ أَلْزَمْتَهُ.
- \* الصلابة، ومنه: وَاعْتَقَدَ الشَّيْءُ صَلْبًا.

<sup>11</sup>: القاموس المحيط - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب - مادة: بني - ت: مكتب تحقيق التراث - مؤسسة الرسالة - ط. 8 - 1426 هـ - 2005 م - ص: 1264.

<sup>12</sup>: بناء الفرد في عهد الدعوة المكي - إبراهيم بن يوسف بن محمد المرزوقي - مذكرة ماجستير بإشراف عبد الله بن يوسف الشادلي - 1404 هـ - 1984 م - ص: 06.

<sup>13</sup> ينظر: لسان العرب - ابن منظور - مادة: عقد - ج: 03 - ص: 296 وما بعدها.

\* الاستحكام، ومنه: تَعَقَّد الإِخَاءُ استحكَم.

\* الظهور والبناء، ومنه: وَعَقَدَ الشَّحْمُ يَعْقِدُ ابْنِي وَظَهَرَ.

مما سبق يلاحظ أن مادة (عقد) تدور حول الربط والشد والتعصيب بإحكام وصلابة.

2: العقيدة اصطلاحاً: ذكر العلماء لها تعريفات كثيرة لكن أغلبها يصب في معنى واحد عام، ولعل أشملها ما ذكره الميداني من أنها التصديق الجازم الذي يحرك عواطفنا، ويوجه سلوكنا<sup>14</sup>.

3: العقيدة في الاصطلاح الشرعي: هي جملة من قضايا الحق البديهية الثابتة بالنقل والعقل

الموافقة للفطرة يعقد عليها المؤمن قلبه جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها.<sup>15</sup>

ج/ مفهوم البناء العقدي.

إن سنة البناء عقلاً وشرعاً تقتضي وجود أسس وقواعد يؤسس عليها البناء؛ وهذه القواعد لا معنى لها ما لم تشفع بالأركان والأساطين؛ وهذا ما نلاحظه في المنهج القرآني وهو يبني الإنسان عقدياً، حيث أبطل قواعد الأسس الفاسدة من التصورات الشركية والوثنية الواهية، وأسس لقناعات غيبية قائمة على الحجج والبراهين النقلية والعقلية؛ ثم بعد ذلك أرسى على هذه القواعد الربانية الرشيدة أصول الحياة الإيمانية لتعطي بناء إنسانياً متكاملًا، وغرساً طيباً مباركاً يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، ويمكن توضيح ذلك وفق المراحل التي تم من خلالها هذا البناء العقدي للفرد المسلم بكليات القرآن الكريم، والتي تتمثل في مرحلة إبطال العقائد الفاسدة والأفكار الموهومة ومرحلة تأسيس الكليات الخلقية ومبادئ التشريع.

المطلب الثاني: أثر كليات القرآن المكي في إبطال العقائد الفاسدة والأفكار الموهومة.

14 : ينظر العقيدة الإسلامية وأسسها - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني - دار القلم - ط. 2 - 1399هـ -

1973م - ص: 32 وما بعدها، وينظر: المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - رسالة دكتوراه -

إشراف الدكتور سعيد فكره - 1435هـ - 2014م - ص: 23.

15 : المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - ص: 115.

إن قانون البناء السوي والسليم يقتضي أولاً تخلية الفكر من رواسب الجاهلية، وتحرير العقل من أغلال العقائد الموهومة، والتصورات الفاسدة لأنه معيار توازن فكر الإنسان وتصرفاته وفي هذا كله تهيئة له لاحتضان عقيدة جديدة ربانية، ترقى به في درجات الروح والريحان، وتثمر إنساناً صالحاً ومصلاً، فاعلاً ومؤثراً.

يقول الطاهر بن عاشور: " لا جرم أن العقيدة أساس التفكير، وهي الفكرة الأولى للإنسان فيما هو خارج عن حاجته؛ فإذا ربي العقل على صحة الاعتقاد، تنزه عن مخامرة الأوهام الضالة؛ فشب على سبر الحقائق والمدرجات الصحيحة فنبأ عن الباطل، وتهيأ لقبول التعاليم الصالحة والعمل للحق؛ وإن أمة ينشأ اعتقاد دينها على هذه الأصول تنشأ لا محالة على عزة النفس، والاهتمام بالاعتماد على استجلاب الأشياء من أسبابها، ورجاء الإعانة والبركة من الخالق، وذلك يدرّب على قوة الإرادة والشعور بالرفعة عن التضييل والأوهام".<sup>16</sup>

إن تحرير العقل من وثاق كل فكر فاسد، ومعتقد باطل لهو اللبنة الأولى لكل بناء سوي، والمسلك الأسمى لكل غرس بهي؛ فكيف كانت طرائق القرآن المكي في دفع العقائد الفاسدة والأفكار الموهومة الموروثة؟

ذكر الدكتور قاسمي السعيد في رسالته: "المنهج القرآني في بناء العقيدة" أن إبطال العقائد الفاسدة مر على مرحلتين رئيسيتين هما: مرحلة التشكيك ومرحلة النقض، هذه الأخيرة اتسمت بطرائق منهجية من حيث المحاجة العقلية والمناظرة والمحاورة لدفع واجتثاث الموروثات العقدية الفاسدة.<sup>17</sup>

ويبين أن أهم هذه الطرائق تمثلت في: إبراز التناقض في معتقد المخالف، وانتفاء الدليل على صحة الموروثات العقدية والفكرية، وانتفاء ما كان سبباً لعبادة غير الله عز وجل.<sup>18</sup>

<sup>16</sup> : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - محمد الطاهر بن عاشور - مؤسسة الوطنية للكتاب - ط. 2 - د. ت.

- ص: 51.

<sup>17</sup> : ينظر: المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - ص: 358 وما بعدها.

<sup>18</sup> : ينظر: المرجع نفسه - ص: 364 وما بعدها.

ولعل أهم مسالك القرآن المكي في دفع المعتقد الفاسد وردّه ما يلي:  
أ/ إثارة العقل إلى محاكمة العقائد الموروثة والأفكار الموهومة بملاحظة الخلل الواضح والتناقض الفاضح فيها، ومن ثم تهيئة قواعدها واجتثاث جذورها بالحجج العقلية الساطعة والمناظرة والمحاورة العلمية القاطعة؛ فالمعتقد متى قام على أسس زائفة واهية، واشتد الضرب عليه بالأدلة والبراهين الدامغة؛ تآكلت أسسه وتهوت أطرافه بعد أركانه.

مثال تطبيقي لهذا المسلك القرآني في إبطال عقيدة البنوة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. (سورة يونس - الآية: 68).

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرًا على من ادعى أن له ولدًا: (سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ) أي: تقدر عن ذلك، هو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه، (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: فكيف يكون له ولد مما خلق، وكل شيء مملوك له، عبد له؟! (إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا) أي: ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان"<sup>19</sup>.

محل التناقض: يعلمون أن الله سبحانه هو من خلقهم؛ وأن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقاً وملكاً، والملائكة من جملة ما في السموات وما في الأرض؛ ثم يجعلون بعد ذلك المملوك المخلوق ولداً له.

دفع التناقض وردّه: بين الله تعالى هذا التناقض العقدي عند المشركين ثم أبطله جملة وتفصيلاً بالمحاججة العقلية كما وضحه الطبري؛ فإذا كانت الملائكة عباد الله وملكه، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدًا؟ ولذلك قال: أفلا تعقلون؛ وعليه فلا تُتصوّر المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق، والمالك والمملوك، فضلاً أن يكون للخالق ولد ممن خلق.

<sup>19</sup> تفسير ابن كثير - ج: 4 - ص: 282.

ب/محاكمة العقل بإيضاح بين وإفصاح جلي عن حاجة وفقر وضعف الطالب والمطلوب من دون الله الواحد الأحد.

إن مقتضى سلامة العقل، وصحة الاستدلال تستلزم أن المطلوب غني عن الطالب، مستغن عنه، إذا توجه إليه الطالب علم أن بيده النفع فينفع بما شاء، متى شاء وكيف شاء؛ بيد أنه تقرر حسا وعقلا أن كل مطلوب من دون الله ضعيف فقير محتاج؛ فتحصل من مجموع ما سبق أن العبادة تصرف فطرة وعقلا وشرعا للغني الواحد الأحد؛ ومن صرفها لغيره سبحانه دل ذلك على فساد عقله، وسفاهة فكره، وتلوث فطرته.

قال قاسمي السعيد: " إن كلّ من يعبد إلها معينا، إنما يعبده لغاية أساسية، وهي جلب المنافع لمن يعبده أو دفع المضار عنه؛ ولما كان المعتبر في عبادة أي إله هو ما يحققه من منافع أو يدفعه من مضار نجد القرآن بحاكم المشركين إلى هذا المعيار ليبطل ما هم عليه من الشرك" <sup>20</sup>.

مثال تطبيقي لهذا المسلك القرآني في إبطال عقيدة الوثنية:.

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (سورة الحج - الآية: 12).

قال الطاهر ابن عاشور: " قدم الضر على النفع إيماء إلى أنه تملص من الإسلام تجنباً للضر لتوهمه أن ما لحقه من الضر بسبب الإسلام، وبسبب غضب الأصنام عليه، فعاد إلى عبادة الأصنام حاسباً أنها لا تضره؛ وفي هذا الإيماء تهكم به يظهر بتعقيبه. فهو مخطيء في دعائه الأصنام لتزيل عنه الضر فينتفع بفعلها، والمعنى : أنها لا تفعل ما يجلب ضرراً ولا ما يجلب

نفعاً...

<sup>20</sup>: المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - ص: 369.

والبعيد : المتجاوز الحد المعروف في مدى الضلال، أي هو الضلال الذي لا يماثله ضلال لأنه يعبد ما لا غناء له"21 .

وقال كذلك: " وذلك أن عبادة الأصنام تضره في الدنيا بالتوجه عند الاضطرار إليها فيضيع زمنه في تطلب ما لا يحصل، وتضره في الآخرة بالإلقاء في النار...وكونه أقرب من النفع كناية عن تمحضه للضر وانتفاء النفع منه لأن الشيء الأقرب حاصل قبل البعيد فيقتضي أن لا يحصل معه إلا الضر"22.

وحاصل القول: أن العقول الراجحة والنفوس السوية والفطر السليمة تأبى أن تستجلب نفعا أو تستدفع ضرا إلا من النافع الواحد الأحد.

ج/ مطالبة الخصم بالحجة والبيان.

من مسالك القرآن في دفع المعتقد الفاسد مطالبة المخالف بالدليل والبرهان؛ ومتى عدم الدليل كان ذلك أمانة على بطلان المعتقد وفساد الفكر؛ إذ " كل اعتقاد لا يقيم معتقده دليل اعتقاده فهو اعتقاد كاذب لأنه لو كان له دليل لاستطاع التعبير عنه، ومن باب أولى لا يكون صادقا عند من يريد أن يروج عليه اعتقاده"23

مثال تطبيقي لمسلك القرآن في دفع ورد معتقد الشريك مع الله.

قال تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة النمل - الآية: 64).

تفسير الآية:

قال القاسمي: " قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ: أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم إثر تبكيته؛ أي هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى إلهها، لا على أن غيره تعالى

21 : التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - ج: 17 - ص: 215.

22 : التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - ج: 17 - ص: 215.

23 : المرجع نفسه - ج: 1 - ص: 656.

يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى، فإنهم لا يدعون صريحا؛ وفي إضافة (البرهان) إلى ضميرهم تهكم بهم، لما فيها من إيهام أن لهم برهاننا؛ وأنى لهم ذلك؟<sup>24</sup>.

فالمطالبة بالحجة والبيان من أقوى المسالك في إفحام الخصوم، وإبطال الدعاوى الواهية؛ ولا جرم أن فساد معتقد التعدد والشراكة حينها دل بمفهوم المخالفة على إثبات الوجدانية لله الواحد الأحد.

د/ محاكمة ما تخمر من الأفكار الموهومة والمعتقدات الفاسدة بالمناظرة والمحاورة<sup>25</sup>.  
تجلى هذا المسلك في القرآن الكريم مع المخالف بقوة في إبطال الشريك مع الله، وكذا في الرد على منكر البعث؛ وتلمس هذا في مناظرة الأنبياء لأقوامهم خاصة، ولنا في مناظرات الخليل الأسوة الحسنة في الرد على المخالف.  
مثال تطبيقي لإثبات البعث بعد الممات بالمناظرة.  
قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (سورة يس - الآية: 78-79).

تفسير الآية:

قال القرطبي: " قوله تعالى : وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أي : ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة؛ أي : جوابه من نفسه حاضر؛ ولهذا قال - عليه السلام : - نعم وبيعثك الله، ويدخلك النار؛ ففي هذا دليل على صحة القياس لأن الله - جل وعز - احتج على منكري البعث بالنشأة الأولى<sup>26</sup>.

---

24: محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - ت: محمد فؤاد عبد الباقي - ط. 1 - 1376هـ - 1987م ص: 4780.

25: ينظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة - مجاهد محمود أحمد ناصر - مذكرة ماجستير - إشراف د/محسن سميح الخالدي - 2003م - ص: 250.

26: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة - ط. 1 - 1427هـ - 2006م - ج: 17 - ص: 490.

احتج المولى جل وعلى على هذا المكابر في إثبات المعاد بذات الكافر؛ فالذي خلقه وركبه قادر على إعادة بعثه ونشره؛ فالمناظرة هاهنا حسمت بدليلين، أما الأول فعقلي: فصاحب الصنعة أعلم بما صنع، وليس إعادتها بأعسر من الأولى وهذا ما تقرر من قوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾؛ وأما الآخر: فدليل حسي مشاهد وهو ذات المكابر وحياته لو تأمل وعقل.

مثال ثان لمسلك القرآن في إبطال عقيدة الصابئة<sup>27</sup> بالمناظرة والمحاورة.  
قال تعالى في سورة الأنعام:

( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) (سورة الأنعام - الآية: 75-79).

<sup>27</sup> : اختلف في الصابئين: فقال السدي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وقال مجاهد: هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية، وقال الحسن هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقروون الزبور، ويصلون الخمس.

والذي تحصل من مذهبهم - فيما ذكره بعض علمائنا - أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة، ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادر بالله بكفرهم. ينظر: تفسير القرطبي - ج: 1 - ص: 434.

لما كانت الشمس أشرف معبود لهؤلاء القوم، ثم يليها القمر فالكوكب الذي هو أدنى معبود في الشرف والمقام، لأنه الأبعد عن نفوسهم فلا تعلقا كبيرا لهم به، ثم القمر الذي يليه في المرتبة، ثم الشمس التي هي في أعلى المراتب كان استخدامه للترقي رعاية للمقام.<sup>28</sup>

ومما يجدر الإشارة إليه أنك قد تجد للقرآن الكريم أكثر من طريق ومسلك لنفي معتقد باطل ورده ومثاله الآيات الأخيرة، فمع مسلك المناظرة يلاحظ أنها صيغت في قالب القصة، وهي كذلك من مسالك القرآن في إبطال العقائد الزائغة.

كما أنك تجد للمسلك الواحد أكثر من أسلوب قرآني لنفي باطل أو إثبات حق.

المطلب الثالث : أثر كليات القرآن المكي في تأسيس الأصول العامة للعقيدة الإسلامية وكليات التشريع والأخلاق.

يمكن تمييز مرحلتين رئيسيتين تم من خلالهما تأسيس الأصول العامة للعقيدة الإسلامية والتي تتمثل في الإقرار بالله تبارك وتعالى، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروي كما عبر عنها الريسوني، وكذا تأسيس كليات التشريع والأخلاق.

أولاً: مرحلة تأسيس الأصول العامة للعقيدة الإسلامية.

إن منطق البناء يقتضي التسليم بمبدأ التحلية بعد التخلية؛ وهذا ما يُتلمس في منهج القرآن الكريم وهو يبني الإنسان؛ فبعد أن طهر عقله مما خامره من عقائد فاسدة، وأفكار زائغة وتصورات واهية هاهو يبني عقيدته بتدرج رباني معجز، يعرض الأصول العامة للعقيدة الإسلامية مشفوعة بما يقررها في نفسه بمسالك حسية مشاهدة وأخرى عقلية استنتاجية ويصاحب ذلك كله ما يصون غرسها ويثبته ويحميه.

فأول ما عرضه القرآن المكي في تأسيسه للعقيدة الإسلامية بيان أصل كلي وقاعدة عامة هي الإيمان بالله ربا وإلها، وبمحمد رسولا ونبيئا؛ ومتى تقرر هذا الأصل في النفوس تقرررت قواعد أخرى تبع له باللزوم، وهي الإيمان بالملائكة والكتب والرسل ويوم المعاد والقدر خيره وشره.

<sup>28</sup>: ينظر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة - مجاهد محمود أحمد ناصر - ص: 181.

فما هي مسالك القرآن المكي في تقريرها في النفوس؟ وما وسائله في تثبيتها وصونها من زيغ المنتحلين وكيد المبطلين؟  
\*مسالك القرآن المكي في تقرير العقيدة.

ذكر محمد المكاوي في رسالته " عقيدة التوحيد في القرآن الكريم مسالك كثيرة للقرآن الكريم في تقرير العقيدة<sup>29</sup>؛ غير أن بعضها يمكن أن يكون وسائل لتثبيت العقيدة عند أهل الإيمان، وليس بالضرورة أن يكون حكرا على محاجة أهل الشرك والكفران؛ ومما ذكره حفظه الله من طرائق ومسالك: الأدلة الكونية، والقصص، والتذكير بنعم الله؛ وبإنعام النظر فيها، فهي وإن كانت حجة على الكافر المكابر؛ فهي مسالك تقر العقيدة في النفس المؤمنة وتزيد من ثباتها كما سيأتي بيانه.

أ/ تقرير العقيدة وتثبيتها بالأدلة الكونية:

إن المتأمل لكثير من الآيات المكية بجدها تقصد استثارة عقل الإنسان ووجدانه، وتدعوه إلى ضرورة إعمال فكره بالتدبر في آيات الله الكونية الباهرة التي تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتسوقه سوقا إلى الإقرار بوحدانيته وقيوميته، والوقوف على بعض حكمه وعجيب أسرار صنعه.

قال الله تعالى: ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ ﴿27﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ) (سورة فاطر - الآية: 27-28).

---

<sup>29</sup>: ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم - محمد أحمد محمد المكاوي- رسالة ماجستير - إشراف د/ عبد الله بن عبد الرحمان الغديان - ص: 141 وما بعدها.

قال الزحيلي في تفسيرها: " وإنما ذكر سبحانه اختلاف الألوان والأصباغ في هذه الأشياء لأن هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعه، فذكر أولاً اختلاف الألوان في ثمار النبات، ثم ذكر اختلاف الألوان في الجمادات، ثم في الناس والحيوان.<sup>30</sup> ونظير هذه الآيات الكونية في القرآن المكي كثير ومتعدد، ولا أدل على ذلك من سورة الأنعام المليئة بآيات الآفاق والأنفس الدالة على وحدانية الله، والدافعة لتقرير هذه العقيدة وتثبيتها.

ب/ تقرير العقيدة وتثبيتها بإيراد قصص الأولين.

إن مقاصد القصص القرآني أكثر من أن تعد وتستقصى؛ وإن الناظر بعين الإنعام إلى غاياتها وأهدافها في العهد المكي، يتحصل عنده أنها سيقت للكافر المكابر لعله يذكر أو يخشى، وللمؤمن الصابر ليزداد مع هُداه هدى.

وسأقف في هذا المسلك مع من زاده الله بها يقينا وثباتا، وتوفيقا وسدادا قال الله تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة هود - الآية: 120).

مثال تطبيقي لأثر القصص القرآني في تثبيت العقيدة.

قصة أصحاب الكهف وأثرها في تثبيت العقيدة.

إن في قصة أصحاب الكهف تسلية لأهل الإيمان والتقوى، ودعوة للتواصي بالصبر على الحق، والثبات عليه؛ فسنة الله ماضية إلى يوم الدين أن أصحاب اليمين تكلمهم أشواك الفتن والبلايا، وتشتد عليهم المحن والرزايا، ويعاديهم أنصار الباطل في شتى أصقاع البرايا؛ ولكن الله ضمن العاقبة للحسنى، والعلی لأهل الصبر والتقوى.

فهذه القصة وأخواتها تحتضن القلوب المستضعفة بلسما وشفاء، فيزداد أصحابها يقينا وثباتا، وهدى وإيماناً؛ قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُم

<sup>30</sup> : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - وهبة الزحيلي - دمشق - دار الفكر - ط. 10 - 1430هـ -

2009م - ج: 20 - ص: 688.

هُدَى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا). (الكهف - الآية: 13-14).

صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات والطمأنينة. الذي خلقنا ورزقنا، ودبرنا وربانا، هو خالق السماوات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية<sup>31</sup>.

فكيف كانت نهاية هؤلاء الفتية المؤمنین بعد هذا التحدي؟ وكيف كانت عناية الله لأوليائه؟ وما العبر المقصودة من القصة في زمانها، وفي زمن التنزيل؟ هي أسئلة وغيرها كثير تطرح في ثنايا فهم وتدبر هذه القصة المباركة.

قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا). (سورة الكهف - الآية: 21).

قال الطاهر بن عاشور: "ووعده الله هو إحياء الموتى للبعث؛ وأما علمهم بأن الساعة لا ريب فيها؛ أي ساعة الحشر، فهو إن صار علمهم بذلك عن مشاهدة نزول بها خواطر الخفاء التي تعتري المؤمن في اعتقاده حين لا يتصور كيفية العقائد السمعية وما هو بريب في العلم ولكنه في الكيفية، وهو الوارد فيه أنه لا يخطر إلا لصديق ولا يدوم إلا عند زنديق"<sup>32</sup>.

فالقصة المباركة حوت رسالتين عظيمتين مع ما تحمل كل واحدة منها من العبر والفوائد، أما الأولى لأهل الجحود والنكران، وأما الأخرى لأهل الحق والإيمان.

فمقصد الرسالة الأولى إثبات وحدانية الله عز وجل، وتقرير البعث بعد الممات. ومقصد الأخرى تثبيت العقيدة في قلوب أولياء الله، وبيان سنة التدافع بين الحق والباطل أنها ماضية إلى يوم الدين.

<sup>31</sup>: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان - عبد الرحمان بن ناصر السعدي - ت: عبد الرحمان بن معلا

اللويحق - مؤسسة الرسالة - ط. 1 - 1423هـ - 2002م - ص: 949-950.

<sup>32</sup>: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - ج: 15 - ص: 288.

ج/ تقرير العقيدة وتثبيتها بالتذكير بنعم المولى جل وعلى.

سماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج يُسَخَّرُ ما فيهما من نعم وآلاء لهذا الإنسان، نعم لا تحصى، وخيرات لا تستقصى، ألا تدل على العليم الخبير والمنعم الكريم؛ بلى وربى ولذلك كان من مسالك القرآن لتقرير العقيدة وتثبيتها في النفوس مخاطبة العقول وإثارة الوجدان بالتذكير بنعم الله عز وجل.

قال محمد المكاوي: "إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وقد نبه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى كثير من النعم فأكثر الحديث عنها، ووجه الأنظار وقرر عباده بها ليدفعهم إلى التفكير في مصدرها وموجدتها، وأنه جدير بالعبادة؛ ولما يثير شكر هذه النعم في أنفسهم من محبة لبارئها ولا سيما أن هذه النعم ليست في طاقة البشر؛ والتذكير بنعم الله يوقظ القلب الغافل وينبئه إلى ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعم جليلة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدى الله والدخول في طاعته"<sup>33</sup>.

مثال تطبيقي لأثر تذكّر نعم الله وآلائه في تثبيت العقيدة.

قال تعالى: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) (سورة النحل - الآية: 18).

قال الطاهر بن عاشور: "وأما هذه الآية فقد جاءت خطاباً للفريقين كما كانت النعم المعدودة عليهم منتفعاً بها كلاهما"<sup>34</sup>

وقال كذلك: "هذا كلام جامع للتبئيه على وفرة نعم الله تعالى على الناس بحيث لا يستطيع عدّها العادون، وإذا كانت كذلك فقد حصل التنبئيه إلى كثرتها بمعرفة أصولها وما يحويها من العوالم؛ وفي هذا إيماء إلى الاستكثار من الشكر على مجمل النعم، وتعريض بفضاعة كفر من كفروا بهذا المنعم، وتغليظ التهديد لهم"<sup>35</sup>.

<sup>33</sup>: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم - محمد أحمد محمد المكاوي - ص: 230.

<sup>34</sup>: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - ج: 14 - ص: 123-124.

<sup>35</sup>: المرجع نفسه - ص: 124.

وقد جاء ذكر النعم في سورة الأنعام بما يروي الظمان في هذا المقام.  
د/ تقرير العقيدة وتثبيتها ببيان تحصيل العبد للحياة الطيبة في العاجلة والأجر والثواب في الآجلة.

الثواب والجزاء أحد المسالك القرآنية في تقرير العقيدة وتثبيتها باستمالة الوجدان، واستثارة الرغبة الداخلية للإنسان فيما عند الكريم المنان، بل ويعد من أهم ما يسوق النفس سوقاً إلى امتثال أوامر ربها واجتتاب نواهيه لجلبتها على حب الثواب وبغض العقاب.  
يقول قاسمي السعيد: " من الأساليب الأساسية التي يعتمدها القرآن في ترسيخ معاني العقيدة في القلوب استمالة النفوس إلى تجسيد مقتضيات العقيدة من الأعمال الصالحة أسلوب التحفيز بالبشارة والإنذار أو ما يعرف في علم الكلام بمبدأ الوعد والوعيد أو الترغيب والترهيب"<sup>36</sup>.

مثال تطبيقي لهذا المسلك القرآني.

قال تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا وَكَأَسًا دِهَاقًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ) (سورة النبأ - الآية : 31-35).

قال الطاهر بن عاشور: " جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذرين بتبشير من هم أهل للتبشير، فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه إلى ترغيب المتقين فيما أعد لهم في الآخرة من كرامة ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك... وافتتاحها بحرف إن للدلالة على الاهتمام بالخبر لئلا يشك فيه أحد "<sup>37</sup>.

ثانياً: مرحلة التأسيس العقدي لكليات التشريع والأخلاق.

لا زال القرآن المكي يتدرج في بناء الإنسان وبيئته لبنة لبنة؛ فمن مرحلة إبطال التصورات والأفكار الفاسدة إلى غرس المعتقد المرتضى؛ ثم مع مرحلة جديدة يمكن أن تعتبر امتحاناً

<sup>36</sup>: المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - ص: 409.

<sup>37</sup>: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - ج: 30 - ص: 40.

واختبارا لما تأسس سابقا وتقرر، إنها مرحلة تأسيس الحياة العملية للكليات العقدية أو ما يمكن أن يكون مرحلة التأسيس العقدي للكليات التشريعية والخلقية. يقول الشيخ محمد شلتوت: "والعقيدة في الوضع الإسلامي هي الأصل، الذي تبنى عليه الشريعة، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة، كما لا ازدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له أساس"<sup>38</sup>.

وهذه المرحلة نوعية وحساسة تنتقل بالإنسان من الإطار التقييدي النظري لأصول العقيدة إلى الإطار التطبيقي العملي بشكل تلازمي تناسقي؛ أي تنتقل بالمسلم إلى مرحلة بناء الحياة العملية في عالم الإنسان، وأداء وظيفة الإستخلاف التي خلق من أجلها. خاتمة:

يمكن إجمال أهم نتائج البحث كالآتي:

- أنزل القرآن الكريم ليصلح الزمان والمكان، فحوى كليات وأصول عظيمة شاملة، غير قاصرة أو محدودة، ومحكمة غير متشابهة وثابتة غير زائلة ولا متبدلة، وقواعد لها خصائص وميزات مثل التي ذكرت أخرى أن تكون لوقائع الحياة أشمل، ولأحكام الشرع أضبط.
- إن معرفة القواعد الكلية التي تحدث عنها القرآن المكي إنما تستفاد وتستخلص من مميزات خطابه، ولا ريب أنه يمكن تمييز ثلاث قواعد رئيسة وأصول كلية عنيت بالخطاب المكي وهي: أ/ الكليات العقدية، ب/ الكليات الخلقية، ج/ كليات التشريع العامة.
- الأصول الكلية كانت في النزول والتشريع أكثر، بينما كانت الجزئيات المشروعة بخلاف ذلك حسب ما تقتضيه المرحلة من سنة التدرج في البناء.

<sup>38</sup>: الإسلام عقيدة وشريعة - محمد شلتوت - دار الشروق - ط. 18 - 1421هـ - 2001م - ص: 11.

- أول ما يتوجب في بناء الإنسان أو إصلاحه بناء عقيدته أو إصلاح الخلل فيها وتعليمه العقد الصحيح.
- سنة البناء السليم تقتضي مبدأ التخلية قبل التحلية، وهذا ما لوحظ في بناء عقيدة المسلم بكليات القرآن المكي، فبعد نقض الأفكار الواهية والاعتقادات الفاسدة، أسس للمعتقد الصحيح المرتضى.
- من المسالك التربوية القرآنية التي ينبغي حسن فهمها وتوظيفها في عملية بناء المسلم القصة والمحاورة والمناظرة.
- ضرورة العناية بآيات الله الكونية الباهرة التي تستثير عقل الإنسان ووجدانه، وتدعوه إلى ضرورة إعمال فكره، وتدله على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتسوقه سوقاً إلى الإقرار بوجدانيته وقيوميته، والوقوف على بعض حكمه وعجيب أسرار صنعه.
- التذكير بنعم الله عز وجل من أهم مسالك القرآن لتقرير العقيدة وتثبيتها في النفوس.

#### فهرس المصادر والمراجع.

- 1- الإسلام عقيدة وشريعة - محمد شلتوت - دار الشروق - ط. 18 - 1421هـ - 2001م.
- 2- أصول النظام الإجتماعي في الإسلام - محمد الطاهر بن عاشور - مؤسسة الوطنية للكتاب - ط. 2 - د.ت.
- 3- بناء الفرد في عهد الدعوة المكي - إبراهيم بن يوسف بن محمد المرزوقي - مذكرة ماجستير بإشراف عبد الله بن يوسف الشادلي - 1404هـ - 1984م.
- 4- التحرير والتنوير - الطاهر بنعاشور - تونس - دار التونسية للنشر - 1984م.
- 5- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - وهبة الزحيلي - دمشق - دار الفكر - ط. 10 - 1430هـ - 2009م.

- 6- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان - عبد الرحمان بن ناصر السعدي  
- ت: عبد الرحمان بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - ط.1 - 1423هـ  
- 2002م.
- 7- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - ت:  
عبد الله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة - ط.1 - 1427هـ -  
2006م.
- 8- العقيدة الإسلامية وأسسها - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني - دار القلم -  
ط.2 - 1399هـ - 1973م.
- 9- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم - محمد أحمد محمد الملكاوي - رسالة ماجستير  
- إشراف د/ عبد الله بن عبد الرحمان الغديان - جامعة الإمام محمد بن سعود  
- الرياض - السعودية - د.ت.
- 10- القاموس المحيط - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب - مادة : بنى -  
ت: مكتب تحقيق التراث - مؤسسة الرسالة - ط.8 - 1426هـ - 2005م.
- 11- الكليات - الكفوي أبو البقاء - لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط.2 -  
1419هـ - 1998م .
- 12- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية - أحمد الريسوني - القاهرة - دار الكلمة  
للنشر والتوزيع - ط.1 - 1434هـ - 2012م.
- 13- الكليات الشرعية في القرآن الكريم - الحسن حريفي - دار ابن عفان - ط.1 -  
1423هـ - 2002م.
- 14- لسان العرب - ابن منظور محمد بن مكرم - بيروت - دار صادر - د.ط -  
د.ت.
- 15- محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - ت: محمد فؤاد عبد الباقي -  
ط.1 - 1376هـ - 1987م.

- 16- منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة - مجاهد محمود أحمد ناصر -  
مذكرة ماجستير - إشراف د/محسن سميح الخالدي - 2003م.
- 17- المنهج القرآني في بناء العقيدة - قاسمي السعيد - رسالة دكتوراه - إشراف  
الدكتور سعيد فكره - 1435هـ - 2014م.
- 18- الموافقات في أصول الشريعة - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي -  
السعودية - دار ابن عفان - ط.1 - 1418هـ - 1998م.